المحاضرة الخامسة (حركة الترجمة)

الترجمات السريانية :

لم يكن السريان بحاجة، في بدء الامر ، الى ترجمة الآثار اليونانية الى لغتهم لان اليونانية كانت شائعة في مدارسهم وبين المثقفين منهم . ولكن عندما تزايد اثر فارس في البلاد السريانية اخـــذ التأثير اليوناني في التضاؤل، فشعر اساتذة المدارس السريانية بضرورة نقل الكتب اليونانية الى لغتهم .

بدأت هذه الحركة في مدينة الرها في منتصف القرن الخامس ، فمثلاً ترجم «فروبا» كتاب « العبارة » والمقالات السبع الاولى من كتاب « التحليلات الاولى » لارسطو . وفي نصيبين ألّف بولس النصيبي(١) كتاباً في منطق ارسطو . وإذا رجع النساطرة في هذا العهد الى الكتب اليونانية فكان ذلك للبحث عن اسس منطقية يدعمون بها منازعاتهم اللاهوتية . ثم من اوائل القرن السادس الى ما بعد الفتح الاسلامي نجد غزارة الانتاج العلمي والفلسفي عند النساطرة . وابرز اسم في هذه الفترة اسم « سرجيوس الرأسعني » († ٥٣٦ م) ، كان كاهناً نسطورياً ، ورئيساً لاطباء رأس العين في شمالي الجزيرة ، وفيلسوفاً وعالماً ومؤرخاً . ترجم الى السريانية « ايساغوغي » لفرفوريوس ، « مقالات في النفس » منسوبة الى ارسطو، كما وانه شرح بالسريانية كتاب « المقولات » لارسطو ، وله عدة رسائل ومؤلفات علمية في الطب والتاريخ الخ .

واخيرًا لما اضطهد الامبراطور يوستنيوس اليعاقبة ، في منتصف القرن السادس الميلادي ، انتقل بعض هؤلاء الرهبان اليعاقبة الى الضفة اليسرى من الفرات حيث اسسوا ديرًا في قنسرين ، اصبح مركزًا للثقافة السريانية الهلنية . واشتهر في هذا الدير « مار ساويرس » († ٦٦٧ م) الذي ترك مؤلفات عدة في الفلسفة والعلوم عرفها العرب . واشتهر ايضاً تلميذه اثناسيوس († ٦٩٦ م) الذي اصبح فيما بعد بطريركاً لليعاقبة . وترك شروحاً لمنطق ارسطو ، نقلت الى العربية وافادت منها مدرسة بغداد . ومن اشهر تلاميذ ساويرس الذين درسوا في قنسرين يعقوب الرهاوي(٢) (٦٣٣—٧٠٨م) الذي انتقل الى الاسكندرية وكتب في اللاهوت والفلسفة والتاريخ والجغرافيا ، وكانت مؤلفاته تعتبر مرجعاً للدارسين . ومن تلاميذ اثناسيوس يذكر اسم جورجيوس († ٧٢٤م) اسقف العرب ، فقد ترك ترجمات لأشهر كتب ارسطو المنطقية ، وشرحها .

فلما فتح العرب سوريا والعراق اعجبوا بالحضارة المنتشرة في هذه الاصقاع والتي كان السريان النساطرة محتفظين بها . لذلك بعد ما استتب الامر للعباسيين طلبوا من هؤلاء ترجمة هذا التراث العلمي والفلسفي الى العربية . فكان للنساطرة فضل كبير في الاحتفاظ بالثقافة اليونانية القديمة ، كما وان لهم فضلاً اكبر في نقلها الى العربية .

ويلاحظ هنا ان الترجمات الى العربية لم تكن ، في جميع الحالات ، مباشرة عن النص اليوناني ، بل عن النص السرياني الذي هو ترجمة للنص اليوناني مع شروحات للمترجم السرياني .

٢ — الترجمات العربية

في العصر الأموي :

ان اول نقل حدث في الاسلام كان بفضل خالد بن يزيد بن معاوية ، والذي نقل له هو « اصطفن » وهو من الاسكندرية وكان هذا النقل من اللغة القبطية واليونانية الى العربية . كان خالد مهتماً بالصنعة (اكتشاف طريقة لتحويل المعادن الى ذهب) اذ انه كان يطمع في الخلافة ، فقد كان ابوه يزيد بن معاوية خليفة ، وكان اخوه ، معاوية بن يزيد خليفة ، ثم نُحي هو عن الخلافة ، وغلبه عليها مروان بن الحكم ، فصُدم من ذلك صدمة قوية . فاخذ يبحث عن تسلية شريفة تتفق ومركزه ، ورأى انه اذا استطاع ان يحوّل المعادن الى ذهب استطاع ان يحوّل الناس اليه ، او على اقل تقدير كان له من المنزلة ما يحسده عليها الخلفاء . لذلك اشتغل بالصنعة وبالنجوم على انها قد تكون وسيلة تساعد على الوصول الى « الصنعة » اذ كان علم النجوم ممزوجاً بعلم احكامها وتأثيرها في العالم السفلي .

وقد عُني ايضاً في العهد الاموي بالطب ، اذ انهم كانوا في حاجة اليه ولان الطب ابعد العلوم الاجنبية عن ان يؤثر في الدين . ولذلك لم يتردد عمر بن عبدالعزيز ، اتقى بني امية ، في اجازة ترجمة الكتب الطبية الى العربية. وعلى كل حال كانت محاولات الترجمة في العصر الاموي محاولات فردية، تموت بموت الافراد القائمين بها ، كما انها كانت مقصورة على العلوم العملية (الطب ، النجوم ، الصنعة) ، ولم تتناول العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة .